المبحث الأول

حالة النقاء والبقاء للعمل

حالة النقاء والبقاء للعمل

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]

أي: قل أيها الرسول لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: «يا الله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فبأي أسمائه دعوتموه فإنكم تدعون ربًّا واحدًا؛ لأن أسماءه كلها حسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تُسِر بها فلا يسمعك أصحابك، وكن وسطًا بين الجهر والهمس» .

البحار تسير بعظمتك، والجبال بقدرتك، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥].

وصلى الله على أول من تنشق الأرض عنه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

أي: وما بعَثْنَا من رسول من رسلنا إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاءوك أيها الرسول في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم لوجدوا الله توابًا رحيمًا .

حديثنا يبدأ عن النقاء والبقاء، كيف يبقى العمل، ويُنقى العمل؟

وكيف يرفع العمل، ويتفاضل بين الأعمال؟ وأي الأعمال أنقى، وأثبت، وأرسخ، وتشفع لصاحبها يوم القيامة؟

أصحاب النظريات الكونية كانوا يقولون: البقاء للأصلح، ولكن نحن نقول: البقاء للأخلص، وهذا معنى قرآني جميل، وهناك أعمال دنيوية تأخذ صفات أخروية صار العمل نقيًّا ثم بقيًّا، فالملك قال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

أي: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد، فمَن كان يخاف عذاب ربه، ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملًا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره .

من منا لا يشتاق إلى رؤياك يا رب، فنحن مشتاقون، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا، أى: عمل مؤثر إيجابي، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.. فعلى سبيل المثال: يطعم جائعًا، أو يكسو عاريًا لفقره هذا عمل مؤثر، أي: عمل صالح اجتمع فيه البقاء والنقاء .

عمل صالح أي أن صاحبه أصلح قلبه حتى يؤدي عملاً كبيرًا، وأتى بعمل به حسنات كبيرة، إنسان يريد أن يتصدق وليس عنده، يريد أن يعتمر وليس عنده، وكذا وكذا... هذا جميل فغيرك يستطيع، ولكن لا يفعل؛ لأن قلبه لا يصل إلى حالة العبودية، وهذه نعمة منك يا الله؛ فعندما تجد رجلاً عظيمًا، وتقول له هذا طفل يتيم يظل هذا الإنسان جافي الهيئة، ولكن الإنسان المؤمن حقًّا ينكفئ على رأس اليتيم بيده؛ لأن رسول الله ﷺ علمه أنه من مسح على رأس اليتيم مجرد الحنان والعطاء، فله بكل شعرة حسنة، كما

روي عن رسول الله ﷺ، قال: «**من مسح رأس يتيم أو يتيمة لم يمسحه إلا لله؛ كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات**»[1]، ماذا تسمي هذا العمل؟ عبودية .

ومعنى النقاء أن البيت العظيم كما جاء في رواية الإمام مسلم عما قال الرسول ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[2].

ولا تغتر بالبيوت العالية، والسيارات الفارهة، أي: لا تنخدع بمظاهر الناس، فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، كما حدثنا رسول الله ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك**»[3] فلا تنخدع بالمظاهر.

ذكر أن مدينة رسول الله ﷺ في بعض العصور أصابها جدب وقحط، فصلى الناس صلاة الاستسقاء فلم تأت إغاثة من الله تعالى، فصلوا مرة ثانية فلم تأت إغاثة من الله ففجعوا، أو ضجوا فذهبوا إلى المسجد النبوي الشريف يتضرعون إلى الله: يا رب، يا رب.. فكان هناك شاب فدعا لهم وقال: أقسمت عليك لتسقينهم، أقسم على الملك، لابد وأنه عنده إخلاص قوام لله وصوام له. أى: حالة إيمانية عالية له عند الله تعالى، وما هي إلا لحظات وارتعدت السماء وأمطرت! سبحان الله تعالى .

«**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن إلى قلوبكم**»[4].

قال النبي العظيم ﷺ عند مرور رجل «**ماذا تقولون فى هذا**، قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع، ثم

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند الأنصار، باب: حديث أبى أمامة الباهلى، رقم الحديث: ٣١٢٥٣.
(٢) رواه: أبو هريرة، المحدث: الألبانى، المصدر: صحيح الترغيب، الرقم: ١٥ .
(٣) سنن الترمذى، كتاب: المناقب، باب: مناقب البراء بن مالك ﷺ، رقم الحديث: ٣٧٨٩.
(٤) رواه: أبو هريرة، المحدث: الألبانى، المصدر: صحيح الترغيب، الرقم: ١٥ .

سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال ﷺ: **ما تقولون في هذا؟** قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال أن لا يستمع، فقال رسول الله ﷺ: **هذا خير من ملء الأرض**»[1].

الفقير هذا الذي لا قيمة له، ولا وزن له يساوى عند الله الكثير من ذلك الرجل المتكبر والمتغطرس، فهذا الفقير أفضل منهم جميعًا؛ لأن الله ينظر إلى قلوبنا، ماذا في قلبك؟

ويكتب عليه.. ماذا تحمل في قلبك نحو جارك، ونحو ربك تعالى؟ وينظر أيضًا إلى أعمالكم هذا ربط بين القلب والعمل، فالقلب ميزان العمل، ليس هناك عمل صالح إلا إذا كان هناك قلب صادق، الرجاء عمل من أعمال القلوب لو تحول الرجاء إلى كلام لصار ذلك تضرعًا.

وصف الله جل في عُلاه في قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [الزمر:٩].

أي: أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رحمة ربه؟ قل أيها الرسول: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق، والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون... إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة.

ولكن هل قَبِلَ الله تعالى عملنا؟ الرجاء منا أن العمل لا يحبط، وأن يرضى عنه الملك لابد وأن يكون مكتوبًا عليه، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ** ﴾ [الزمر:١١].

---

(١) صحيح البخارى، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء فى الدين، رقم الحديث: ٤٧٠١.

أي: قل أيها الرسول للناس: إن الله أمرني، ومَنْ تبعني بإخلاص العبادة له وحده دون سواه.

فالعمل لابد وأن يكون فيه تذلل وتواضع لله ﷻ، ثم نسأل: هل قبل الله تعالى منا العمل؟ فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

أي: والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألاَّ تُقبل أعمالهم، وألاَّ تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب، أولئك المجتهدون في الطاعة دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

قبل بداية العمل لابد وأن نستعين بالله تعالى، عند بداية العمل لابد أن يكون العمل خالصًا لله تعالى: يا رب لعلك ترضى.. وتقبل العمل كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

أي: فاصبر أيها الرسول على ما يلصقه المكذبون بك من أوصاف وأباطيل، وسبِّح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل غروبها، وصلاة العشاء في ساعات الليل، وصلاة الظهر والمغرب أطراف النهار؛ كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به.

إن الإنسان يجب أن يكون قبل العمل في حالة خوف، وبعد العمل في حالة رجاء، وأثناء العمل يكون بين الخوف والرجاء، وهذه المعاني هى ما أتت في آخر سورة الكهف كما ذكرنا من قبل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فلابد أن يتوافر للعمل عنصر النقاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

أي: ولقد أوحي إليك أيها الرسول، وإلى الذين من قبلك من الرسل لئن أشركت بالله غيره ليبطلنَّ عملك، ولتكوننَّ من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك؛ لأنه لا يُقبل مع الشرك عمل صالح.

أي: هناك درس قوي أن كل الأنبياء شربوا درسًا واحدًا، وهو عندما تفكر أن العمل لغير الله لحظة واحدة ليحبطن عملك، لأجل هذا فإنك تلمح في القرآن عجبًا .

معنى البقاء؛ أي: ديمومة العمل واستمراره، فإن الإنسان يتذوق حلاوة العمل، والذي يقيم الصلاة ركعتين أفضل ممن لا يقيم، وهكذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] .

فالعبادة تذلل، وخضوع، وتفويض، وتسليم، ولكن بشرط، كالذي يصلي، ولا يخرج من صلاته إلا متكبرًا؛ لأنه لم يصل إلى مرحلة التذلل، والأصل أن يتذلل لجلاله، لخالقه جل في عُلاه الذي كان يسجد بين يديه، قال الرسول ﷺ: «**ولينوا بأيدي إخوانكم**»[1].

فالمسلم لابد وأن يكون لينًا يراجع نفسه مرة واثنين، لا تكن حاد القلب وقاسيًا في طباعك .

وانظر إلى الرابط القرآني، فإن معنى النقاء للعمل أن تعبد الله بشرط: ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، وهذا ربط قرآني عظيم في كل السور، والله تعالى يربط دائمًا بين العبادة الخالصة، والعمل الخالص ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف، رقم الحديث: ٥٧٠.

ومعنى هذا الإخلاص تلحظه في قوله تعالى عندما يأتي اللبن وهو سائل أبيض لم يصل إلى حالة التريب - أي رايب أو زبادي - هو في الأساس لبن أبيض، لماذا أبيض؟ ما علامات البياض؟ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]. وإن لكم أيها الناس في الأنعام وهي الإبل، والبقر، والغنم لَعبرة، بمعنى لعظة، فقد شاهدتم أننا نسقيكم من ضروعها لبنًا خارجًا من بين فَرْث، ودمًا خالصًا من كل الشوائب، لذيذًا لا يَغصُّ به مَن شَرِبَه .

والمعنى أن اللبن لم يصل إلى حالة النقاء، وصار أبيضًا إلا بعد ما خلصه الله تعالى من الدم، فلم يخالطه شيء من القاذورات؛ لأجل ذلك هو خالص وسائغ للشاربين، صار بين الدم والقاذورات حتى صار خالصًا للشاربين. ونستفيد من هذا المعنى أنه لابد وأن نعيش على حالة نقاء فأي غل، أو حقد، أو حسد فإنه ينزل فى الحال، وبين الرجل والرجل، يغسل الذنوب لي ولك، وعند المصافحة لابد أن تحمل كل خير للغير .

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

أي: والذين جاءوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسدًا وحقدًا لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك رءوف بعبادك، رحيم بهم.

وفي الآية دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير، ويدعو لهم، وأن يحب صحابة رسول الله ﷺ، ويذكرهم بخير، ويرضى عنهم .

فالرسول ﷺ علمنا أن المصافحة تذهب الغل، وتغسل الأوزار لكل

مسلم يصافح أخاه بكل حب «**إذا تصافح المسلمان لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما**»[1].

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

أي: وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطابًا يَسْلَمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله.

أي: مثل النسمة إذا عاش عاش في خير، وإذا مات مات على خير، وإذا دفن ترحم الناس عليه، ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾.

فالذي تراه مشدودًا منفوخًا قل له: انظر إلى التراب الذي تمشي عليه هو أبوك، والأرض هي أمك، قال له النبي ﷺ: «**تحفظوا من هذه الأرض فإنها أمكم شاهدة عليكم**»[2] أي: أن الأرض تشهد لي وعليَّ.

ومن سمات المسلم التقي النقي أن لديه إحساسًا بالتقصير، وأن الله تعالى ليس راضيًا عنه، وأن الله تعالى لن يقبل توبته لأن ذنوبه ما زالت كثيرة، كل هذه الأحاسيس أحاسيس صادقة، وأحاسيس إيمانية جميلة؛ لماذا؟

لأنه لا يستشعر الإيمان، ولا حلاوة الإيمان إلا من عاشه، فعندما يعايش الإنسان الإيمان ينظر إلى من هو أعلى منه في الإيمان، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:١١٠].

معنى (عمل صالح) أي: ليس به عقبات، وليس به عراقيل، وليس

---

(١) رواه: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع

(٢) معجم الطبراني.

فيه موانع، إنما استطاع بنور قلبه وبعزيمته أن يصلح هذا العمل، وليس فيه شوائب، وليس فيه خلط أو إفلاس، وليس فيه شبهة، فأداه كله لله تعالى هذا معنى أنه (عمل صالح).

بعض الناس يقول أتمنى أن أعمل عملًا صالحًا، أي: يتمنى أن يتصدق، ويحج ويعتمر، ويرعى أيتامًا هذا أمر طيب، إنك تعمل خيرًا، هناك غيرك يستطيع أن يفعل، ولكنه يمتنع عن فعل الخير؛ لأن قلبه لم يصل إلى حالة الصلاح، وإلى حالة الاستواء، وإلى حالة العبودية التي نتكلم عنها، وتلك نعمة أنعمت عليَّ كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢].

وتلك التربية في بيتك تَعُدُّها نعمة منك عليَّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم، وتستحي نساءهم؟ ترى رجلاً مهابًا عظيمًا له هيبة وله عظمة، ويقال له: هذا طفل يتيم، يبدأ هذا الإنسان الكبير، الجافي الهيئة، الضخم، ينكفئ على رأس اليتيم، ويمسح بيده أو تمسح بكلتا يديها؛ لأن رسول الله ﷺ علمه أنه من مسح على رأس اليتيم مجرد المسح، ومجرد الحنان، ومجرد الشفقة والحنو والعطاء، فله بكل شعرة حسنة، بل وحسنات كما مر علينا من قبل، وهذه عبودية، وعمل صالح نقي، كما في الآيات الكريمة.

ومعنى النقاء: كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى أعمالكم**»[1]، لا تغتر بالبيوت العالية، ولا بالفيلات، ولا تغتر بالسيارات الفارهة.

ما محل العناية من الله تعالى بنا؟ ماذا في قلبك؟ ماذا يكتب على قلبك؟ ماذا يلج في قلبك؟ ماذا يدور في قلبك؟ ماذا تحمل في قلبك نحو أخيك،

---

(١) رواه: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الرقم: ١٥.

ونحو أختك، ونحو جارك، ونحو ربك أولاً ﷻ؟ «**ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم**».

وهذا ربط عظيم بين القلب وبين العمل، ليس هناك عمل صالح إلا إذا كان هناك قلب صادق؛ لذا قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠].

وانظر إلى حال رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]. أي: قل أيها الرسول للناس: إن الله أمرني، ومن تبعني بإخلاص العبادة له وحده دون سواه.

كما ذكرنا من قبل أن العمل لكي يكون نقيًّا لابد وأن يكون فيه عبودية، أي: تذلل يؤديه الإنسان، وهو خائف من الله جل في علاه، ويعمل العمل وهو متواضع لله ﷻ، يؤدي العمل وعنده مشكلة في قلبه، ومشكلة في فهمه هل قبل الله تعالى منه العمل أم رده عليه؟ خائف من هذه المسألة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون٦٠-٦١].

أي: للذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تُقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب، أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون .

فالإنسان قبل أن يبدأ العمل يستعين بالله تعالى على تمام العمل، وإن كان أي طاعة إيمانية يقوم بها فعليه أن يستعين بالله ﷻ ويقول: أرجو منك يا رب أن يكون هذا العمل خالصًا لك وحدك، هذا في بداية العمل، في أول

العمل تجديد النية، وبعد أن تعمل العمل وتنتهي منه تقول: يا رب، لعلك قبلت مني، لعلك ترضى عنا وعن أحبابنا، لعلك تدخل المؤمنين في رحمتك.

فالإنسان قبل العمل في حالة خوف، وبعد العمل في حالة رجاء، وأثناء العمل يعيش بين الخوف وبين الرجاء، كل هذه المعاني استمعت إليها في آخر سورة الكهف، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

منتهى التسليم لله ﷻ، والتسليم هنا معناه أن العمل لابد وأن يتوافر فيه عنصر نقاء العمل، العمل لابد وأن يكون نقيًّا، وسأقدم لك دليلاً آخر، و لله المثل الأعلى:

لو جيء لك بكوب ماء، ووجدت فيه عكارة، وذهب عنه بعض النقاء، أو وذهبت عنه بعض الشفافية، وحلت فيه بعض الأتربة هل ستشربه؟ لن تشربه؛ لماذا؟ لأنها ماء معكرة، وستمرضك إذن أنت رفضت النعمة، رغم كونها نعمة؛ لأنها مخلوطة بشوائب؛ لأن فيها شبهات، هكذا قال الملك، وله المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

أي: ولقد أوحي إليك أيها الرسول، وإلى الذين من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره ليبطلنَّ عملك، ولتكوننَّ من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك؛ لأنه لا يُقبل مع الشرك عمل صالح .

هذه الآية الكريمة يشيب لها شعر الرأس، أي: هناك درس قوي، درس تنزل به الملك أن كل الأنبياء شربوا درسًا واحدًا، شربوا معينًا واحدًا ما هو المعين؟ وما هو الدرس؟ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ، فإذا كنت تؤدي العمل لغير الله تعالى، ولو للحظة ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

بل الله فاعبد، أي: أخلص عملك لله تعالى، وكن من الشاكرين، لأجل هذا فإنك تلمح في القرآن الكريم عجبًا، ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ كما ذكر الملك ﷻ .

ولا زلنا نمهد لك الآن على معنى النقاء في العمل، ومعنى البقاء للعمل أي: ديمومة العمل حتى إذا كان العمل قليلاً مع ديمومته ومع استمراره؛ فإن الإنسان يتذوق به حلاوة الإيمان، الذي يصلي الضحى ركعتين فقط خير ممن لا يصلي الضحى، والذي يقيم الليل ركعتين فقط خير من الذي لا يقيم الليل، والذي يقول بعد الصلاة: سبحان الله عشر مرات، والحمد لله عشر مرات، والله أكبر عشر مرات، خير من الذي لا يقولها مطلقًا، والذي يقولها ثلاثًا وثلاثين أفضل وأفضل... وهكذا.